الفَصْلُ الخَامِسُ: قُطُوفٌ مِنْ رِيَاضِ الشَّاكِرِينَ

وفى هذا الجزء نحاول أن نطوف بكم فى رياض الشاكرين؛ لنقطف بعضًا من أزهارها العطرة ونملأ صدورنا بعبيرها الزكى؛ عله يكون زادًا لقلوبنا يأخذ بأيدينا نحو التأسي بهؤلاء الصفوة من النبيين والصالحين وأهل العلم والفهم.

نقف على بعض أحوالهم وأقوالهم وأفعالهم، فربَّ كلمة لا يعيرها الكثيرون شيئًا من الاهتمام يكون لها عظيم الأثر فى قلب عليل، وربَّ فعل لأحدهم يجد فيه الضال حاديًا ودليلاً.

والشاكرون لله -تبارك وتعالى- على مر العصور كُثر، لا يمكن لبشر أن يحصيهم، فربهم أعلم بهم وبخاصة من لم يسجل لهم التاريخ أقوالاً أو أحوالاً، تشهد لهم وأولئك جزاؤهم عند ربهم، وهو -سبحانه- رافعهم يوم القيامة.

وأما من سجل لهم التاريخ أقوالاً وأفعالاً تشهد لهم بأنهم من الشاكرين فإحصاؤهم ضرب من الخيال، فالمصْطَفَوْنَ من الخلق كُثر كالأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وأهل العلم والفضل.

وإن كنا لا نستطيع أن نحصيهم عددًا، فحسبنا أن نشهد الله -عز وجل- أنَّا نحبهم فى الله، ونرجو أن يجمعنا بهم فى فى جنته ودار كرامته.

وفى هذا الفصل نحاول أن نذكر بعض النماذج من الأنبياء والصحابة والتابعين، وكذلك بعض الأقوال التى أُثرت فى الشكر تمثل عهودًا مختلفة من الزمن، وتشهد بأن الشاكرين موجودون فى كل زمان ومكان، وبأن القلوب والألسن والجوارح

الشاكرة لربها -عز وجل- معينها لن ينضب، ولن ينعدم الخير فى أمة محمد إلى أن تقوم الساعة.

نبينا محمد ﷺ

ما دمنا نتحدث عن الشاكرين لربهم -عز وجل- فلا بد من أن تكون البداية مع سيد النبيين وإمام الشاكرين وخير خلق الله أجمعين رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم.

والكلام عن شكره صلى الله عليه وسلم لربه -تبارك وتعالى- أمر من الصعوبة بمكان؛ لأن الشكر كان ديدنه ﷺ وكان رفيقًا له فى كل حركاته وسكناته؛ فحياته كلها ﷺ كانت عبادة وشكرًا وحمدًا لربه -عز وجل- وليس من الإنصاف أن نتحدث عن شكره ﷺ فى سطور تحوى مواقف أو كلمات.

ولكن الإنصاف أن نقرأ سيرته العطرة ونتأملها من بدايتها إلى أن اختار الرفيق الأعلى، وسنجد أنه كان شاكرًا لربه فى كل لحظة من حياته المباركة ولقد ذكرنا من أحاديثه الشريفة على طول هذا البحث الشيء الكثير، وما لم نوفق لذكره كثير وكثير؛ وليس أدل على كونه ﷺ سيد الشاكرين وإمام الحامدين من أن الله -عز وجل- اختار اسمه (محمد) وذكره فى كتب السابقين باسم (أحمد) فهو ﷺ محمد وأحمد ومحمود أيكون ذلك مصادفة؛ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

إنما كان ذلك لأن الله -عز وجل- هو من اصطفاه وزكاه وجعله خير الخلق قاطبة ورباه وأدبه، وشهد له -سبحانه- بأنه على خلق عظيم، وكيف لا وهو المنوط بحمل أعظم رسالة للبشرية وهو الأسوة والقدوة التى يجب على كل من تبع

دينه أن يقتدى بها، وليس بعجيب أو مستغرب أن يكون صلى الله عليه وسلم إمام الشاكرين؛ فهو أعلم الناس بربه تبارك وتعالى، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا ومن عرف ربه تمام المعرفة شكره أحسن الشكر وأتمه.

إنه صلوات ربى وسلامه عليه كان أحسن الناس صلاة فكان يصلى من الليل؛ حتى تتفطر قدماه، وهو الذى غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر شكرًا لربه -عز وجل- وكان النبي يكثر من الصيام؛ تقربًا لله وكان كريمًا جوادًا كالريح المرسلة يعطى بسخاء عطاء من لايخشى الفقر وكان يملك لسانًا رطبًا بذكر الله وقلبًا عامرًا بالرضا والصبر والحمد فى السراء والضراء. فصلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله، وجمعنا يوم القيامة تحت لوائك لواء الحمد. وجعلنا ممن يسيرون على دربك ويوفون بالعهد.

نبي الله إبراهيم عليه السلام

هو أبو الأنبياء وخليل الله، وكفى بتلك الخلة شرفًا وتيهًا؛ إنه -عليه الصلاة والسلام- كان نموذجًا حيًّا جليًّا لمن أدركوا مقام الشكر وقامُوا بحقه أيما قيام، والله -عز وجل- أثنى عليه فى كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل١٢٠-١٢١].

فوصفه الله -عز وجل- بأنه كان شاكرًا لأنعمه، أي: قائمًا بشكر النعم التى أنعم الله بها عليه، فبِمَ حقق خليل الرحمن ذلك الوصف الكريم من رب العالمين؟!.

كما جاءنا ذلك الوصف في القرآن الكريم كذلك تأتينا مقومات ذلك الوصف فلقد جاء ذكر الخليل إبراهيم في مواضع كثيرة في كتاب الله -عز وجل- ومعظم هذه الآيات لو تأملناها لوجدناها تندرج تحت قوله تعالى: شاكرًا لأنعمه، ومن ذلك نذكر:

١- قال الله -عز وجل- على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ* وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ* وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ*وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ* وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء٧٨-٨٢]

وفي ذلك إقرار من نبي الله إبراهيم بنعم ربه -تبارك وتعالى- عليه معترفًا أن أمره كله بيد الله، وأنه برغم مكانته من النبوة؛ فإنه لا يملك من أمر نفسه شيئًا والإقرار بالنعمة وإلحاقها بالمنعم أول منازل الشكر.

٢- امتثاله -عليه السلام- لأمر ربه وطاعته كأحسن ما تكون الطاعة؛ والطاعة لله -عز وجل- هي عين الشكر، لا سيما إن كانت هذه الطاعة فيها مجاهدة عظيمة للنفس، ويتضح ذلك في أكثر من موقف في حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام، منها ما كان منه من التسليم لأمر ربه -تبارك وتعالى- حين أمره أن يترك زوجه وابنه؛ الذي رزقه الله إياه على الكبر في مكان البيت الحرام، وكان المكان -آنذاك- صحراء جرداء خالية من أي صورة من صور الحياة، أمره أن يتركهم في هذا المكان ويرجع دون أن يتحدث إليهم بشيء ولبَّى نبي الله أمر ربه برغم ما به من ألم؛ تسليمًا بقضاء الله ورضًا بحكمه، ويقينًا بأن الله لن يضيعهم ودعا لهم كما

ورد ذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [ابراهيم٣٧].

فنرى في هذا الدعاء كيف أن خليل الله كان همه الأكبر أن يجعل الله من ذريته من يقيم الصلاة ويعبد الله في الأرض؛ حتى حين سأله -سبحانه- أن يرزقهم من الثمرات لم يكن ذلك؛ ليأكلوا ويتمتعوا أو خوفًا عليهم من الهلكة ولكن؛ ليشكروا الله على ما رزقهم.

والموقف الثاني هو طاعته لله -تبارك وتعالى- حين أمره بذبح ولده إسماعيل -عليه السلام- وهو صبي والقصة معروفة، وهي من أعظم أنواع الابتلاء على مر التاريخ كما أنها أيضًا من أعظم المواقف التي يتجلى فيها التسليم لأمر الخالق سبحانه وتعالى.

٣- أنه -عليه الصلاة والسلام- جُمع له من المنازل والمقامات التي ترتقي بالعبد إلى مقام الشكر الشيء الكثير؛ فمقام الرضا تراه جليًّا في كونه عاش إلى سن متقدمة دون ولد؛ راضيًا بقضاء الله.

ومقام التوكل نجده كضوء الشمس في قصة النار التي أعدها له قومه، وألقوه فيها، ولأنه متوكل على ربه حق توكله موقنًا بقدرته، فقد نجاه الله منها، ولو تحدثنا عن صبره لوجدناه حقًّا من الصابرين، فكم صبر على قومه وعلى أبيه وهو يدعوهم إلى الله! وكم صبر على حرمانه من الذرية! وكم صبر على ألوان الإيذاء طوال سنوات الدعوة!.

٤- أن العبد لا يمكن له أن يحقق الشكر إلا إذا حقق التوحيد الخالص لرب الأرض والسماء، وسيدنا إبراهيم شهد له رب العالمين -سبحانه- بأنه من الموحدين المخلَصين أصحاب الملة الحنيفة البعيدة عن الشرك؛ "إن إبراهيم كان أمة قانتًا لله حنيفًا و لم يك من المشركين".(١)

نبي الله نوح عليه السلام

سيدنا نوح -عليه السلام- أول رسول بعث إلى أهل الأرض،وأبو البشرية الثاني ولقد أثنى عليه الله -سبحانه- بقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء٣]

ويقول الإمام ابن القيم في هذه الآية الكريمة: [وفي تخصيص نوح ها هنا بالذكر، وخطاب العباد بأنهم ذريته إشارة إلى الاقتداء به؛ فإنه أبوهم الثاني فإن الله -تعالى- لم يجعل للخلق بعد الغرق نسلاً إلا من ذريته كما قال تعالى:" وجعلنا ذريته هم الباقين"، فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر؛ فإنه كان عبدًا شكورًا](١).

فالله -عز وجل- جعله نموذجًا وقدوة لمن يأتي بعده إلى يوم القيامة بكونه عبدًا شكورًا، ووصفه بأنه كان عبدًا شكورًا؛ دليل على أنه كان كثير الشكر حتى غدا الشكر خلقًا ملازمًا له عليه السلام.

---

(١) عدة الصابرين ١١٧.

ومما أثر عنه -عليه السلام- ما أورده الإمام ابن القيم فى كتاب عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين قال: [قال يزيد بن هارون: أخبرنا أصبغ بن يزيد أن نوحًا -عليه الصلاة والسلام- كان إذا خرج من الخلاء قال: الحمد لله الذى أذاقنى لذته وأبقى منفعته فى جسدى، وأذهب عنى أذاه فسمي عبدًا شكورًا [1]].

نبي الله سليمان عليه السلام

الغني الشاكر الذى لم يصده ما وهبه الله من ملك عظيم ونعم جمة عن شكر ربه والاعتراف بنعمته عليه، فنبى الله سليمان -عليه السلام- كما نعرف أوتى من الملك والعلم ما لم يؤت أحد من البشر، وأسبغ الله عليه نعمه ظاهرة وباطنة فسخر له الإنس والجن والطير والريح وعلمه لغة الطير والحيوان، وأعطاه ملكًا لا ينبغى لأحد من بعده ، وبرغم ذلك ولأنه نبى مرسل اجتباه ربه واصطفاه من الخلق؛ لم تشغله النعمة عن المنعم فكان دائم الشكر لربه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ [النمل١٥-١٦].

فنجده -عليه السلام- حامدًا لربه على ما فضله به عن غيره مقرًّا بفضل الله عليه، وبأنه هو واهب النعم دون حول من العباد أو قوة، وذلك فى قوله: (علمنا) وقول: (أوتينا) فلم ينسب أي فضل لنفسه.

---

(١) عدة الصابرين ١٣١.

وفى قصة النملة التى خشيت على رفاقها من جيوش سيدنا سليمان فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم؛ ففهم سيدنا سليمان لغتها بقدرة الله وتبسم ضاحكًا من قولها ثم لم ينس أن يشكر ربه على نعمته، فقال الله -تعالى- على لسان سليمان: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل١٩].

وكذلك فى قصة ملكة سبأ التى وردت فى القرآن نجده شاكرًا لربه مدركًا أن ما هو فيه من نعمة؛ إنما هو نوع من الاختبار والابتلاء؛ فحين أمر جنده من الإنس والجن أن يأتى أحدهم بعرش بلقيس إليه وتسابق الجميع فى تلبية أمره وجاءه العرش فى لمح البصر ووجده مستقرًّا عنده، كان أول ما فعل أن شكر ربه -عز وجل- قائلاً: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل٤٠].

ففهم -عليه السلام- بما وهبه الله من العلم أن ما هو عليه من نعمة؛ إنما هو للابتلاء وأدرك حقيقة أن الشكر إنما يعود نفعه على صاحبه والكفر كذلك يعود ضره على صاحبه، والله غنى عنا لا تنفعه الطاعة، ولا تضره المعصية.

عثمان بن عفان رضي الله عنه

الصحابى الجليل والخليفة الثالث للمسلمين وأحد العشرة المبشرين بالجنة؛ ذو النورين الذى تستحي منه الملائكة وهو مع ذلك كله: (الغنيّ الشاكر) نعم.. إن سيدنا عثمان بن عفان كان من أكثر الصحابة مالاً وأعظمهم مكانة.

وكان من أبرز النماذج للغني الشاكر؛ الذى يؤدى شكر ماله كأحسن ما يكون الأداء، فقد جعل ماله وكل ما يملك فى خدمة الدعوة ونصر الدين ومواقفه فى هذا الجانب كثيرة نذكر منها:

*تجهيزه لجيش العسرة: [لما أراد رسول الله ﷺ السير إلى تبوك، كان الناس فى ضيق وكان الجيش مؤلفًا من ثلاثين ألف جندى فطلب رسول الله التبرع من المسلمين وأعاد الطلب، فجهز عثمان الجيش حتى لم يفقد عقالاً ولا خطامًا، ويقال: إنه قد جهزه بتسعمائة وخمسين بعيرًا وخمسين فرسًا، وجاء بألف دينار فى ثوبه، فصبها فى حجر النبى ﷺ.

وهذا هو الحديث بنصه: فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَّاب قَالَ: شَهِدْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَحُثُّ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه عَلَيَّ مائَةُ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّه، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه عَلَيَّ مائَتَا بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّه، ثُمَّ حَضَّ عَلَى الْجَيْشِ فَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه عَلَيَّ ثَلاثُ مِائَةِ بَعِيرٍ بِأَحْلاسِهَا

وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَنَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْزِلُ عَنَ الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَقُولُ: مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ[١].

إنه فى عهد أبى بكر -رضي الله عنه- مر على الناس عام فيه قحط شديد؛ حتى كادوا أن يهلكوا وهرعوا إلى أبى بكر يسألونه، ماذا يصنعون فأوصاهم بالصبر؛ حتى يفرج الله شدتهم، وفى ذلك اليوم جاءت قافلة لعثمان بن عفان من الشام مكونة من ألف بعير محملة بالزيت والبر والزبيب، فجاءه تجار المدينة يريدون أن يشتروا منه فقال: كم تعطونى؟ قالوا: الدرهم بدرهمين، قال: أعطيت زيادة، قالوا: أربعة ثم قالوا: خمسة، وهو يقول: أعطيت أكثر من هذا؛ حتى تعجب التجار، وقالوا: ومن الذى أعطاك؟ قال: الله أعطانى بكل درهم عشرة أعندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فإنى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين والفقراء[٢].

*شراؤه بئر رومه، وجعلها وقفًا للمسلمين، وذلك حين رأى معاناة المسلمين من أجل الحصول على الماء فى المدينة؛ حيث كانوا يشترون الماء من رجل يهودي يملك بئرًا؛ تسمى بئر رومه فساومه عثمان -رضي الله عنه- واشتراها منه وتبرع بها لعامة المسلمين.

---

(١) الترمذي ٣٧٠٠، التاريخ الإسلامي صـ ٢٢٣.

(٢) المعنى من كتاب التاريخ الإسلامي صـ ٢٢٤.

عبدالله بن المبارك

نموذج من التابعين للغنى الشاكر وقيل فيه كلام كثير؛ لكثرة صفات الخير فيه، ولكننا فى هذه النبذة عنه نتوقف مع لمحات من حياته كمثل يحتذى به فى الشكر، ومن ذلك:

١- [كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل (مرو) فيقولون: نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها فى صندوق ويقفل عليها ثم يكترى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء.

ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة؛ حتى يصلوا إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة من طُرَفها؟ فيقول: كذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم، قال لكل رجل منهم: ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكه؟ فيقول: كذا وكذا، فيشترى لهم ويخرجهم من مكة؛ فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى (مرو) فإذا وصلوا إلى مرو حصَّص أبوابهم ودورهم؛ فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صُرَّته بعد أن كتب عليها اسمه[1]].

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ١٤٠).

٢- موقفه مع ذلك الشاب المدين والذى يرويه ابن الجوزى [سُمع المسيب بن واضح يقول: كنت عند عبد الله بن المبارك جالسًا إذ كلموه فى رجل يقضى عنه سبعمائة درهم دينًا، فكتب إلى وكيله إذا جاءك كتابى هذا، وقرأته فادفع إلى صاحب هذا الكتاب سبعة آلاف درهم، فلما ورد الكتاب على الوكيل وقرأه التفت إلى الرجل فقال: أي شيء قضيتك؟ فقال: كلموه أن يقضى عنى سبعمائة درهم دينًا، فقال: قد أصبت فى الكتاب غلطًا ولكن اقعد موضعك؛ حتى أجرى عليك من مالى، وأبعث إلى صاحبى فأشاوره فيك.

فكتب إلى عبد الله بن المبارك: أتانى كتابك وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه وسألت صاحب الكتاب فذكر أنه كلمك فى سبع مائة درهم، وها هنا سبعة آلاف؛ فإن يكن منك غلط فاكتب إلىَّ؛ حتى أعمل على حسب ذلك؛ فكتب إليه إذا أتاك كتابى هذا وقرأته وفهمت ما ذكرت فيه فادفع إلى صاحب الكتاب أربعة عشرة ألفًا، فكتب إليه إن كان على هذا الفعال تفعل فما أسرع ما تبيع الضيعة، فكتب إليه ابن المبارك: إن كنت وكيلى فأنفذ ما آمرك به، وإن كنت أنا وكيلك فتعال إلى موضعى؛ حتى أصير إلى موضعك فأنفذ ما تأمرنى به[(١)]].

علي بن الحسين

هو على بن الحسين بن على بن أبى طالب -رضى الله عنهم- المشهور (بزين العابدين) وكان ممن عرفوا بعبادتهم وورعهم وحكمتهم.

---

(١) صفة الصفوة (٤ / ١٤٣).

ومن أقواله التى تعبر عن شكره لربه عز وجل:

كان يقول: [صدقة الليل تطفئ غضب الرب وتنور القلب والقبر، وتكشف عن العبد ظلمة يوم القيامة(١)].

وكان -رضى الله عنه- إذا أتاه السائل رحَّب به وقال: [مرحبًا بمن يحمل زادى إلى الآخرة(٢)]

وكان يقول: [إنى لأستحي من الله-عز وجل- أن أرى الأخ من إخوانى، فاسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا(٣)].

وكان -رضى الله عنه- جوادًا كثير الصدقة والإنفاق فى سبيل الله، ولم يكن يتصدق بماله فقط بل وبعرضه -أيضًا- ومما ورد فى ذلك:

أنه كان إذا خرج من بيته قال: اللهم إنى أتصدق اليوم أو أهب عرضى من استحله(٤)].

ومن ذلك أنه كان خارجًا من المسجد فلقيه رجل فسبه، فثارت إليه العبيد والموالى، فقال على بن الحسين: مهلاً عن الرجل، ثم أقبل على الرجل فقال: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه

---

(٢) البداية والنهاية (٩ -١٠/١٠٥)

(٢) صفة الصفوة (٢ / ٩٥).

(٣) البداية والنهاية (٩ -١٠ صـ ١٠٦).

(٤) البداية والنهاية (٩ -١٠ صـ ١٠٧).

خميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول[١]].

أما عن إنفاقه فحدث ولا حرج؛ فإنه كان شديد السخاء وكان أكثر ما يتصدق بالليل؛ حتى أنه يروى عن محمد بن إسحاق قال: [كان ناس من أهل المدينة يعيشون ولا يدرون من أين كان معاشهم؛ فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون بالليل[٢]].

وعن عمرو بن ثابت قال: لما مات على بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثارٍ سُود فى ظهره فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جُرُب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء المدينة[٣]].

[ودخل على بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد يعوده فبكى ابن أسامة فقال له: ما يبكيك؟ قال على دين، قال: وكم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار، فقال: هى علىّ[٤]].

[وعن سفيان قال: أراد على بن الحسين الخروج فى حج أو عمرة؛ فاتخذت له سُكينة بنت الحسين سُفره أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهر الحرّة أمر بها فقسمت على المساكين[١]].

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ١٠٠).
(٢) صفة الصفوة (٢ / ٩٦).
(٣) صفة الصفوة (٢ / ٩٦).
(٤) البداية والنهاية (٩ -١٠ صـ ١٠٥).

وكان من شكره -أيضًا- أنه كان يعفو فى مواقف كثيرة يصعب على جل الناس أن يجاهد نفسه فيها، وفى ذلك جانب عظيم من الشكر لله -عز وجل- حين يقابل المرء الإساءة من الناس بالإحسان والابتلاء بالشكر لله -عز وجل- ومن ذلك نذكر موقفين عظيمين:

قال عبد الرازق: سكبت جارية لعلى بن الحسين عليه ماء؛ ليتوضأ فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه فرفع رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول: [والكاظمين الغيظ] فقال: قد كظمت غيظى، قالت: [والعافين عن الناس] فقال: عفا الله عنك، فقالت: (والله يحب المحسنين) قال: أنت حرة لوجه الله تعالى[٢].

[عن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند على بن الحسين قوم فاستعجل خادمًا له بشواء كان له فى التنور، فأقبل به الخادم مسرعًا، وسقط السفود من يده على بُنى لعلى بن الحسين أسفل الدرجة؛ فأصاب رأسه فقتله، فقال على للغلام: أنت حر لم تعمده[٣] وأخذ بجهاز ابنه[٤]].

فمن يقدر على التعامل مع ذلك الابتلاء الشديد بقتل ابنه أمام عينيه بالعفو عن قاتله بل و يطلقه لوجه الله؛ لأنه لم يتعمد قتله قربى إلى الله، وكبحًا لهوى النفس واستحضارًا لقدرة الله -عز وجل- عليه وطمعًا فى عفوه.

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ٩٦).

(٢) البداية والنهاية (٩ -١٠ صـ ١٠٧).

(٣) لم تتعمد ذلك.

(٤) صفة الصفوة (٢ / ١٠٥).

[وروى الطبراني بإسناده عنه: أنه كان جالسًا مع جماعة فسمع داعية في بيته فنهض فدخل منزله، ثم رجع إلى مجلسه فقيل له: أمن حدث كانت الداعية؟ قال: نعم فعزوه وتعجبوا من صبره فقال: إنا أهل بيت نطيع الله -عز وجل- فيما نحبه ونحمده على ما نكره[١]].

أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

كانت -رضي الله عنها- تشتهر بين أمهات المؤمنين بسخائها وكرمها وكثرة تصدقها وبذلها، ولقد شهدت لها أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بذلك فقالت: كانت زينب بنت جحش هي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله -عز وجل- بالورع ولم أر امرأة أكثر خيرًا وأكثر صدقة وأوصل للرحم وأبذل لنفسها في كل شيء يتقرب به إلى الله -عز وجل- من زينب[٢].

[وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ لأزواجه: أولكن يتبعني أطولكن يدًا، قالت عائشة: فكنا إذا اجتمعنا بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- نمد أيدينا في الحائط نتطاول فلم نزل نفعل ذلك؛ حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن أطولنا يدًا؛ فعرفت أن النبي أراد بطول اليد

---

(١) البداية والنهاية (٩ -١٠ صـ ١١٤).

(٢) صفة الصفوة (٢ / ٤٨).

الصدقة، وكانت امرأة صناعًا وكانت تعمل بيدها وتتصدق به فى سبيل الله عز وجل[١]].

ومما يروى عن شدة كرمها وكثرة إنفاقها فى سبيل الله: [عن برزة ابنة رافع قالت: لما جاء العطاء بعث عمر إلى زينب بنت جحش بالذى لها؛ فلما دخل عليها قالت: غفر الله لعمر لغيرى من أخواتى كان أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك، قالت: سبحان الله واستترت دونه بثوب، وقالت: صبوه واطرحوا عليه ثوبًا فصبوه وطرحوا عليه ثوبًا فقالت لى: ادخلى يدك فاقبضى منه قبضة، فاذهبى إلى آل فلان وآل فلان من أيتامها وذوى رحمها فقسمته؛ حتى بقيت منه بقية، فقالت لها برزة: غفر الله لك والله لقد كان لنا فى هذا حظ، قالت: فلكم ما تحت الثوب، قالت: فرفعنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهمًا، ثم رفعت يدها فقالت: اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامي هذا، قال: فماتت[٢]].

فرحم الله أم المؤمنين زينب بنت جحش ورضي الله عنها وعن أمهات المؤمنين؛ اللاتى شربن من معين النبى ﷺ وتعلمن من أخلاقه الكريمة، وطهر الله -عز وجل- قلوبهن وزكى الإسلام أنفسهن فكن خير مثال يحتذى على مر العصور، ونسأل الله -عز وجل- ألا يحرمنا رؤيتهم فى الجنة، وأن يرزقنا صحبتهم فى الآخرة.. آمين.

---

(١) متفق عليه: البخارى١٣٥٤، مسلم٢٤٥٢.

(٢) صفة الصفوة (٢ / ٤٨).

موقف عمر بن عبد العزيز عند وفاة ولده

الخليفة العادل التقى عمر بن عبد العزيز -رضى الله عنه- خامس الخلفاء الراشدين من عرف عنه الورع والتواضع والرحمة والرضا بقضاء الله نراه يوم مات ابنه عبد الملك وكان يحبه حبًّا كثيرًا لخلقه الحسن وتقواه لربه -عز وجل- نراه برغم حزنه الشديد على قرة عينه لا يسخط ولا يجزع ولكنه يصبر ويرضى بل ويشكر ربه يقينًا منه أن ما قدره الله -عز وجل- فيه الخير لا محالة.

[عن زياد بن أبى حسان أنه شهد عمر بن عبد العزيز حين دفن ابنه عبد الملك استوى قائمًا وأحاط به الناس فقال: والله يا بنى لقد كنت برًّا بأبيك، والله ما زلت منذ وهبك الله لى مسرورًا بك، ولا والله ما كنت أشد سرورًا ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المترل الذى صيَّرك الله إليه فرحمك الله وغفر لك ذنبك وجزاك بأحسن عملك، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب؛ رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره الحمد لله رب العالمين ثم انصرف[١].

أقوال ماثورة

[عن سفيان قال: قيل لأبى حازم ما مالك؟ قال: ثقتى بالله -عز وجل- ويأسى مما فى أيدى الناس[٢]].

[محمد بن عبيد قال: إن بعض أهل الحجاز قال: قال أبو حازم كل نعمة لا تقرب من الله -عز وجل- فهى بلية[١]].

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ١٣٠).

(٢) صفة الصفوة (٢ / ١٥٦).

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبي حازم قال: إذا رأيت الله -عز وجل- يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره[٢]].

قال الحسن البصرى: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا[٣]].

[قال على بن الجعدى: سمعت سفيان الثورى يقول: "إن داود -عليه الصلاة والسلام- قال: الحمد لله حمدًا كما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله فأوحى الله إليه: يا داود أتعبت الملائكة[٤]].

[قال شريح: ما أصيب عبد بمصيبة إلا كان لله فيها ثلاث نعم: ألا تكون كانت فى دينه، وألا تكون أعظم مما كانت، وأنها لابد كائنة فقد كانت[٥]].

عن أنس -رضى الله عنه- قال سمعت عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- سلم على رجل فرد عليه السلام، فقال عمر للرجل: كيف أنت؟ قال الرجل: أحمد إليك الله، قال: هذا ما أردت منك[٦]].

[مر وهب بمبتلى أعمى مجزوم مقعد عريان به وضح وهو يقول: الحمد لله على نعمه، فقال رجل كان مع وهب: أي شيء بقى عليك من النعمة تحمد الله عليها،

---

(١) صفة الصفوة (٢ / ١٥٧).

(٢) صفة الصفوة (٢ / ١٥٧).

(٣) عدة الصابرين ١١٩.

(٤) عدة الصابرين ١١٩.

(٥) عدة الصابرين ١٢١.

(٦) عدة الصابرين ١٢٧.

فقال له المبتلى: ارم بصرك إلى أهل المدينة؛ فانظر إلى كثرة أهلها، أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيرى[١]].

[ذكر على بن أبى طالب -رضى الله عنه- أن بختنصر أتى بدانيال فأمر بحبسه فى جب وأضرى أسدين، ثم خلى بينهما وبينه ثم فتح عليه بعد خمسة أيام، فوجده قائمًا يصلى والأسدان فى ناحية الجب، لم يعرضا له، فقال له: ما قلت حين دفع عنك؟ قال: قلت: الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذى يكشف عنا ضرنا بعد كربتنا، والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانًا، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة[٢].

ومن أجمل ما قيل قول بعضهم: [عندى من بره ما ملك الاعتذار بأزمَّته وقبض ألسنة أمراء الكلام وأئمته؛ عندى مبارٌّ أعجزنى شكرها كما أعوزنى حصرُها، شكره شأوٌ بعيد لا تبلغه أشواطى ولا أتلافى التفريط فى حقه بإفراطى.

إحسانه يعيد العرب عُجْمًا والفصحاء بكمًا. قد زحمنى من مكارمه ما يُحصر عنه المبين ويصحبه العِيُّ وبئس القرين[٣].

قال أعرابى:

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره وما فوق شكرى للشكور مزيد

---

(١) عدة الصابرين ١٣٩.

(٢) عدة الصابرين ١٤٠.

(٣) كتاب: الأنس، سمير الشيخاني (١ / ٤٥٩).

ولو كان شيئًا يستطاع استطعته ولكنَّ ما لا يستطاع شديد[1]

تم بعون الله وتوفيقه

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

أميرة نبيل العماوي

(١) كتاب: الأنس، سمير الشيخاني (١ / ٤٦٠).

obeikandl.com

المَرَاجِعُ

١- القرآن الكريم

٢- مختصر تفسير ابن كثير

٣- فتح الباري

٤- صحيح مسلم

٥- إحياء علوم الدين

٦- البداية والنهاية لابن كثير

٧- شرح رياض الصالحين لابن العثيمين

٨- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم

٩- مدارج السالكين لابن القيم

١٠- الفوائد لابن القيم

١١- الداء والدواء لابن القيم

١٢- مفتاح دار السعادة لابن القيم

١٣- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم

١٤- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم

١٥- صفة الصفوة لابن الجوزي

١٦- التبصرة لابن الجوزي

obeikandl.com

١٧- بستان الواعظين لابن الجوزي

١٨- تلبيس إبليس لابن الجوزي

١٩- المعجم الوجيز

٢٠- مختار الصحاح

٢١- البحر الرائق في الزهد والرقائق أحمد فريد

٢٢- مختصر منهاج القاصدين لأحمد بن قدامة المقدسي

٢٣- معارج القبول للحافظ بن أحمد الحكمي

٢٤- رهبان الليل د / سيد العفاني

٢٥- التاريخ الإسلامي محمود شاكر

٢٦- علو الهمة محمد أحمد إسماعيل المقدم

٢٧- الرضا عن الله للحافظ بن أبي الدنيا

٢٨- كتاب الأنس سمير شيخاني

obeikandl.com